غزل العقـــاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٧ —

من أهم ما تدعو إليه المدرسة الحديثة — وتقدم العقاد نموذجاً له — تفتحُ النفس لألوان الأحاسيس، وانفساحها لصنوف المؤثرات، وتهيؤها لشتى الانفعالات؛ وكثرة الأوتار المرنّة بها فى العاطفة الواحدة، والمواطف المتعددة، ومطاوعتها لما تتأثر به، لا لما تحفظه وتحتذيه من القوالب المصبوبة

وكل هذا من خصائص الحياة الموفورة، الغنية بالذخور من المشاعر المهيئة للتجدد والنماء، المستعدة للتفرد والامتياز

وقد كان النقد العربى — إلى أمد قصير — قد وضع للمواطف الشعرية مراسم وقيودا، وجعل لها قوالب مصبوبة، ومن هذه المواطف « الحب »

ترى هذا فى كتاب « الصناعتين » مثلا وتراه فى الكتب المدرسية والمذكرات، وتلمح أثره فى كتابات من يتصدون للنقد بعد اطلاعهم على الكتب القديمة وحدها

وتلمح أثر هذا التحديد فى ذوق المتأدبين الذين لا يصبرون على صورة جديدة يرونها فى غزل جديد أو قديم، لا تكون وفق قوالب خاصة، وعلى طراز معهد من طراز التعبير

ولقد كان هـذا يدعونى إلى اتهام الطبيعة العربية والطبيعة المصرية على السواء؛ فما يصبر الطبع الموهوب على هذا الجمود فى ألوان الحس والتعبير؛ وما تقف النفس عند صور محدودة معلومة إلا وقد ضاقت عما عداها، واستغلقت دون سواها. ولولا أن هناك فروضاً وأعذاراً تلتمس لقد كان سوء الظن أولى، والاتهام أوجب. ولكنا فى انتظار ما يطلع به المستقبل من الأدباء والمتأدبين

والعقاد أفسح شاعر عربى نفساً فى غزله، وأكثرهم أوتاراً مرنّة. فلا عجب تزيد الأنغام فى شعره على ما تستطيع الأذن المصرية — إلا نادراً — أن تسمعه وتطرب له؛ ولا عجب يجد الكثيرون صعوبة فى تقبل هذه النغمات لأنها تجهد آذانهم وأذواقهم، وتحملهم استعارة طاقات نفسية لا قبل لهم بها، كما تجهد العين الضعيفة تحت المنظار القوى الذى يجمع لها من الضوء فوق احتمالها!

ولكن من الحق كذلك ألا يبيح هؤلاء لأنفسهم مهمة الحكم، وأن يسمعوا قول من يطيقون السماع ويطربون لشتى النغمات، ويصدقوا ذوى العيون التى تحتمل المناظير القوية، فيما تبصر من رؤى وأطياف لا تراها عيونهم الكليلة!

* * *

وحين يتابع الناقد غزل العقاد فى دواوينه السبعة، يعجب كيف يكون قائل هـذه الأنماط كلها رجلاً واحداً لولا أن يثوب إلى خصائص العقاد العامة فى هذه الأنماط على اختلافها.

وتروعه هـذه النفس الفسيحة التى تتلقى نماذج الحبيبات كل بما تستحقه، ثم تنفسح بعد هذا لتلقى الحالات النفسية المتتابعة مع كل حبيبة؛ وتتسع لنماذج الحب المختلفة بين الصوفية والحسية، وبين الغرارة والتجريب، وبين البساطة والتركيب، وبين الصعود والهبوط ... وتقول فى كل حب، وفى كل حالة شعراً أصيلا كأنه — وحده — هو اتجاهها الوحيد!

ولعل من الخير قبل أن نستعرض هذه الأنماط، كما لحظناها فى شعره الغزلى، أن نأتى باستعراض العقاد نفسه لصنوف الحب التى تيقظ لإحساسه بها على ضوء حب أخير حين يقول:

عرفت من الحب أشكاله   وصاحبت بعد الجمال الجمال
فحب الصور تمثـــاله   عرفت وحب الشباب الخيال

وحب القداسة لم أعده   وحب التصوف لم يعدنى
وفى كل حب ورى زنده   سمات من المؤمن الدين

وحب المزخرف والمنتقى   وحب المجرد والعاطل
وحب الجماح وحب التقى   وحب الجـدد والناقل

وحب الثقات وحب الصحاب   وحب الطبيعـة فى حسنها
وحب الرجاء وحب العذاب   على يأس نفسى من حزنها

وحب التى علمتنى الهوى   وحب التى أنا علمتهـا
ومن أستمد لديها القوى   ومن بالقوى أنا أمددتها

وحب الجياع صحاف الطعام   وحب الظماء كؤوس الشراب
وحب الكفاح وحب السلام   وحب الضلال وحب الصواب!

صنوف من الحب لا تلتقى   وفيك التقى لبهـا المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق   لما كنت كفؤاً لهذا الهوى

وفى « سارة » يفصل بعض صنوف الحب التى يحسها القلب الإنسانى فيقول:

« وقد يميز الرجل امرأتين في وقت واحد . لكن لا بد من اختلاف بين الحبين في النوع ، أو في الدرجة ، أو في الرجاء .

« فيكون أحد الحبين خالصا للروح والوجدان ؛ ويكون الحب الآخر مستغرقا شاملا للروحية والجسدية .

« أو يكون أحد الحبين مقبلا صاعدا ، والحب الآخر آخذا في الادبار والهبوط

« أو يكون أحد الحبين مغريا بالرجاء ، والحب الآخر مشوبا باليأس والريبة »

ثم يذكر نموذجين في الحب ، لنموذجين من المرأة ، اجتمعا على « همام » بطل القصة ، قد يفيد ذكرهما هنا لبيان رهافة حس هذا الشاعر ودقته في الاحساس بالحب والنساء :

« لقد كانت سارة وهند على مثالين من الأنوثة متناقضين : كلتاهما أنثى حقا لا تخرج عن نطاق جنسها ، غير أنهما من التباين والتنافر بحيث لا تتمنى إحداهما أن تحل محل الثانية ، وتوشك أن تزدريها »

« ماذا أقول ؟ بل لعلهما من التباين والتنافر بحيث تتمنى كلتاهما قبسا من طبيعة الأخرى ، لولا أنها تنكر الاعتراف بذلك بينها وبين نفسها ، فتسمح للتمنى أن يستحيل إلى نفور

فاذا كانت سارة قد خلقت وثنية في ساحة الطبيعة ، فهند قد خلقت راهبة في دير ، من غير حاجة إلى الدير !

تلك مشغولة بأن تحطم مُنَ القيود أكثر ما استطاعت ، وهذه مشغولة بأن تصوغ حولها أكثر ما استطاعت من قيود ، ثم توشيها بطلاء الذهب ، وترصعها بفرائد الجوهر

الحزن الرفيع والألم المزيز شفاعة عند هند مقبولة إذا لم تكن هي وحدها الشفاعة المقبولة . أما عند سارة فالشفاعة الأولى بل الشفاعة العليا هي النعيم والسرور

تلك يومها جمة الآلام . وهذه يومها شم النسيم

تلك تشكو ويخيل إليك أنها ذات أرب في بقاء الشرور تستديم بها معاذير الشكوى ، وهذه تشكو كما يبكى الطفل لينال نصيبا فوق نصيبه من الحلوى

تلك مولعة بمداراة نقائصها لتبدو كما تتمنى أن تكون. وهذه مولعة بكشف نقائصها لتمسح عنها وضر الخجل والمسبة ، وتعرضها في معرض الزينة والمباهاة

« تلك لماعدة التائة والمجاملة ، وهذه لماعدة الرخاصة والبساطة »

ثم يمضي بعدد خصائص كل منهما على هذا المنوال البارع فتفهم أنه متيقظ أشد اليقظة ، بكل وسائل التنبه والادراك في طبيلته ، لكل ذرة ، في كل حبيبة .

* * *

والآن نتابع العقاد في غزله ، ونتصفح الوجوه التي هام بها ، وقال فيها ، فنجد منها ستة وجوه بارزة ، ونجد غيرها منزويا متناثرا

فأما الأول فيستغرق الجزءين الأول والثاني تقريبا ، وفيه تلمح العقاد شابا حدثا ، في نفسه روعة وحذر وإشفاق من وهلة الجمال والحب ، يكتفي أول الأمر باللمحة والنظرة ، ويحوم على الجمال في ورع وتنطس ، ويحسب للمجهول والغيب كل حساب ، ثم يأخذ بعد حين في الاستمتاع على حذر كذلك وتلطف واستئذان .

وتجد إلى جواره حبيباً ساذجاً ، عاطلاً من كل حلية نفسية أو فكرية إلا الجمال المجرد الغرير ، فلا عمق ولا فلسفة ولا أطوار

وهكذا — في الغالب — حب الشباب ، وإن فهم الكثيرون أنه أقرب إلى الفتك والبوهيمية والجراءة . فالشاب غالباً تمنعه القداسة ، فان لم تكن أذهلته الروعة قيده حذر المجهول الذي لم تكشفه التجارب ، والمزيز الذي لم يرخصه الاستعمال

إنما يستهتر — حق الاستهتار — الكهل الذي تجمله التجارب يسخر من المقدسات والغيبيات ، وتدفعه بقية القوة التي لم تنضب إلى الاستمتاع بالباقي قبل الفوات !

واسمع العقاد في ورع وإشفاق ينادي حبيبه :

وقف عليك محبتي وعظاتي ... وعلى صباك نصائحي وعظاتي
أوتيت من حسن الشمائل نعمة ... والحسن في الدنيا من الآفات
هو جوهر يجنى عليك وميضه ... عدوان سراق وحقد عفاة
... ...
فاحذر فان مع الجمال لغرة ... وأراك تأمن جانب الغفلات
واحرس جمالك فالجمال وديعة ... « لله » ترعاها إلى ميقات
واحمل شبابك للمشيب مبرءاً ... مما يكدر ناصع الصفحات

وهكذا إلى نهاية هذه التسبيحة أو التعويذة القانتة !

ثم تسمعه بعد هذا كالطيف الهامس في حذر وتقاة :

إنا لمن معشر حب الجمال لهم ... حب لما كان في الدنيا ومن كانوا
ليأمن الطير . إنا لا نكيد له ... ولا يخف مكرنا وحش وعقبان
الخ

ثم تبنظره وقد انجلت هذه الروعة قليلا عن بدء الحسية والاستمتاع ليلة الوداع :

ويا ليـالى لما أنست بقربه — وقد ملأ البدر المنير الأعاليا
تطلّع لا يثنى عن البدر طرفه — فقلت : حياء ما أرى أم تغاضيا
... ...
فقبلت كفيه وقبلت ثغره — وقبلت خديه وما زلت صاديا
كأنا نذود البين بالقرب بيننا — فنشتد من خوف الفراق تدانيا
كأن فؤادى طائر عاد إلفه — إليه فأمسى آخر الليل شاديا
إذا ما تضاممنا ليسكن خفقه — تنزى فيزداد الخفوق تواليا
أوشج فى كفانا يديه رواجبي (١) — وشيجاً يظل الدهر أخضر ناميا
وتلمس كفى شعره فكأننى — أمارس سلسالا من الماء صافيا
وأشكوه ما يجنى فينفر غاضبا — وأعطفه نحوى فينعطف راضيا

ثم تتدرج من هذا إلى متاع صريح، ولكنه خفيف سريع :

أتعلم أم أنت لا تعلم — بأنى عاشقك المغرم
أتقسم أنك لا تكتم — بل أنت تكتم أم تظهر

***

ولا تنس فى عين شمس لنا — ليـالى موقرة بالجنى
ترف عليها طيور المنى — مغردة فى ضياء السحر

***

فكم بت أسهر تلك الجفون — وأذبلها بالطلى والمجون
فباتت كما يعشق العاشقون — مضاعفة السحر تسبى الفكر

أجل فليكن ! ولكن شاعرنا لا يزال شاباً يستكثر الليالى المختلسة فيشيد بذكرها ، ويفصلها تفصيلا ، ويكاد فى « واقعيته » يحدثنا عن صور الخيال !

وينتهي الحب الأول أو يزحمه الثانى ويبقى على آثاره . والناقد يطالع فى هذا حبيباً قريباً فى خصائصه من الحبيب الأول ، يمتاز عنه بأنه شره للمعجبين بجماله ، يريدهم حشداً لا فرداً . ولكنه يرى شاعرنا وقد نفض عن كاهله كثيراً من سوفية الشباب وحذره وتوجسه ، غير أنه لا يزال يستمتع فى دائرة محدودة ، وبذخائر معدودة عند حبيبه :

يا أشره الناس حسنا — إلى عبيـد وصحب
وأنهم النـاس بالا — بنـاظر مشرئب
يا ليت لى ألف قلب — تثنيك عن كل قلب

(١) الرواجب : مفاصل الأصابع

وليت لى ألف عين — تراك من كل صوب
وليت لى ألف وسم — وليت لى ألف عيب
لعـل حسنك يثنى — عن ناظر أو محب
ولا تبيت معنًى — بمن تروع وتسبى

ثم ينجلى الأمر عن حبيب مواف وحب متفتح ، قد أخذ بعد المتعة والاكتفاء فى ترف الطلاقة والفلسفة :

إيهاً أبا الأنهار فوقك شادن — يشفى الغليل وأنت لست بشاف
فرعون لم يحمل عليك نظيره — والبحر لم يحرزه فى الأصداف
أوفى علينا من سماء جماله — فاحلم بطلعته وماؤك غاف
واحفظ لديك وديعة من صفونا — مأنوسة الذكرات والأطياف
سيطول أيام الصدود سؤالنا — لك عن مواقع هذه الألطاف
ونود لو تغنى الودادة آسفا — وجنى الزمان ولا رجوع لهاف

إلى أن يقول فى يقظة طريفة وتأمل واع :

إنى سعدت بقدر ما استرجعت لى — يا نيل من حقب ومن أسلاف
دهر قد انبسطت عليه ساعة — فاستأنفته أحسن استئناف
وصلت حديث زماننا بقديمه — وصل الصحيفة نائى الأطراف
وبدت لنا صور العصور كأنها — رسم على صفحات مائك غاف
ومناظر القمراء أشبه بالذى — أحييت من ذكر مضين ضعاف
فالذكر والنظر العيان كلاهما — حلم بها متشابه الأفواف

وتتبين فى نهاية هـذا الحب نضوج الشاعر ، وانتباهه إلى خطرات الأيام والصروف والأقدار على ضوء حبه ، وتأمله فى الكون والطبيعة وإجراء ذلك كله فى غزله :

أيها المعطى غدا عن سمة — أعط إذ أنت ملء بالعطاء
إنما اليوم لدينا كغد — وغد يا صاحبى اليوم هباء
آه لو يبقى على الدهر الصبا — آه لو يرأف بالحب الفناء
فرصة فيها جمال وصبا — ثم تمضى فإذا الكل سواء
وإذا المشوق فى البين كمن — تتخطاه عيون الرقباء
كاختلاف اللون فى الصبح لنا — وتساوى بعد قبح ورواء
نحن فى صبح وقد لا نلتقى — ليت لليل ابتداء وانتهاء

ثم قطعة بعنوان : « ودع جمالك » اقتطفت بعضها عند الحديث على خاصة اليقظة والوعى الفنى ، وأقتطف فى هذا المجال بعضاً آخر ، وإن كان يخيل لى أن المقصود بها هو الحبيب الأول ولكنها أقرب شبهاً بما قيل فى فترة الحب الثانى ، لما فيها من تأمل وعمق فى الاحساس :

أمودعاً حسن الأحبة إننى — ودعت قلب الهائم المغرور

ميتان في جدث نزورها معاً ... واوحشــتا من زائر ومزور
يهنيك أنك لا تزال مقيــدى ... بك حين لاشوق إليك مثيرى
لم أبك وجهك إذ بكيت وإنما ... أرثى خــرائب عالم مـدثور
فاعجب لمن يبكى لجيعة سرمد ... بدموع مبتور الحيــاة حسير

وهى إحدى القصائد الطريفة التى تتجلى فيها «خصوصية» العقاد

* * *

ومتى بلغنا الجزء الرابع من الديوان التقينا هناك بشخصيتين أقرب ما تكونان إلى شخصيتى « سارة وهند » اللتين أسلفنا عنهما الحديث ، وعلة ذلك مفهومة ، وقد أوضحناها عند الحديث على « سارة » والتقينا بالشاعر فى قمة النضوج النفسى والفنى ، وقد وضحت أمامه المعالم ، وانتهت به التجارب إلى فلسفة كاملة فى المرأة والحب والحيــاة ، واكتملت به جميع القوى اللازمة للاحساس والتعبير ، وعرف غاية الطبيعة من الحب ، وغاية كلا الجنسين ، فلم يبق أمامه إلا أن يعتصر من كل حب رحيقه ، ويرتشف من كل كأس ثمالتها فى طلاقة وبراعة وصراحة

فأما إحدى الشخصيتين فيطلع عليك وجهها من خلال قوله :

أريد التى ألقى سلاحى وجنتى ... إليها وألقاها من البأس أعزلا
وأطرح أعبــاء الجهاد وهمه ... لدى قدميها مغمض العين مرسلا
وأنت إذا أقبلت أقبلت جحفلا ... وجردت أسيافاً وشيدت معقلا
فان تهزمينى فاهزمى عن بصيرة ... مريدا لأسباب الهزيمة مقبلا

ويطلع عليك وجهها من خلال قوله :

أيهــا الداعى إلى الله لنا ... ما ترى فى دعوة منك إليك ؟
—أنت لو تعلم دائى — فى غنى ... عن نداء الغيب والطب لديك
تسأل الله شفائى ولقــــد ... جعــل الله شفائى فى يديك
وترجىّ نظرة لى من عــل ... ورجائى كله فى ناظــريك
فادع لى نفسك أو لاتدع لى ... رحمة الرحمن من وجدي عليك
إن قضاهــا الله أو لم يقضها ... حسبنا خطرتها فى شفتيك
يفضل الصحة عنــدى أننى ... بعض ما تطوي عليه جانبيك

وهي كما ترى متحفظة متصونة ، وهو محترس يقظ يلمح ولا يصرح أو هما كما قال العقاد :

« كانا أشبه بالشجرتين منهما بالانسانين ، يتلاقيان وكلاهما على جذوره ، ويتلامسان بأهداب الأغصان ، أو بنفحات النسيم العابر من هذه الأوراق إلى تلك الأوراق »

وأما الشخصية الأخرى فتطل عليك من قوله :

ماذا من الدنيــا لعمرى أريد ... أنت هى الدنيا فهل من مزيد ؟
فيك لنــــا نورٌ ونار معاً ... وأنجم زهر وأفق بعيـــد
وفيــك روض مسفر عاطر ... وجوهر حر ودر نضيـــد
ونشــــوة الخمر إذا قوبلت ... بنشوة منك متــاع زهيد
والفن إن لم تك نجواه من ... نجواك لغوٌ باطــلٌ لا يفيد
وكل ما فى الـكون من روعة ... لها نظير فيــك حى جديد
بل أنت دنيا غير هذى الدنى ... وكل حب فيك كون وليد
للمرء دنيــــاوان : مطروقة ... فوضى وأخرى هو فيها فريد
وهذه ، لا تلك ، ما يشتهى ... وهى له الموئل وهى الوجود

وتتبين وجهه معها فى قوله :

قبــلات كل يوم وعناق ... ووداع كل يوم ولقاء
واشتياق كلما حان الفراق ... وعهــود كلما جن المساء

وعتاب كل يوم وخصام ... جائر الحكم كثير العلل
نرتمى فيه بأهوال جسام ... بين سخرىّ المنى والقبل

وعلى توقيع أنغام الرجاء ... نبعث القلبين حباً وخصاما
عبث الطفلين فى مهد الصفاء ... كلما راعهما الضجة ناما

وحياة بين روض وغدير ... وحياة بين ألفاف كتاب
هذه أو تلك يحويها الضمير ... ويروى سرحها ماء الشباب

لاظلام الليــل يثنيك ولا ... لفحة القيظ ولا اليوم المطير
فى دلال منك موفور الحلى ... وكلال منك كالظبي البهير

وهى كما ترى أنثى ناضجة بوهيمية ، وهو رجل فنان متفتح قد بلغ من المتعة إلى الترف فانتشي ؛ فانطلق يتفلسف فقال :

وابل مــن قبــل تعطرها ... من سماء الحب أخلاف غزار
جــزلة المسّ شهي لمسهــا ... حلوة المزجين من ماء ونار
سقيهــا محض ولاء خالص ... لم يكدره من الدنيا اعتكار
وكذا الاخلاص حر مطلق ... كصفات الله ما فيها اضطرار
روّ منه الدهر واضحك ساخرا ... إن طغى الدهر بأيديه القصار
هاهنا لا العيش محسوس الخطا ... لا ولا الوقت بمحدود المطار

الخ .. ...

* * *

فاذا اجتاز الناقد الأجزاء الأربعة الأولى من الديوان إلى « وحى الأربعين » و « هدية الـكروان » و « عابر سبيل » لم تبعد به النقلة كثيراً عن جو الجزء الرابع ، ولـكنه يجد انطلاقاً إلى مدى أوسع فى التوحيد بين الأرض والسماء ، أو بين المادة والروح فى غزل العقاد ، كما يجد الهدوء الرتيب ،

لا تخالجه اللهفة إلا قليلا ، وهي بعد شوق إلى المتاع الطليق ، أكثر منها حرقة إلى إرواء الضرورة المقيدة ، أو هي طلاقة فيها سخرية المجرب الذي سلك الطريق مرة ومرة ، فانجلت في نفسه الروعة وانكشف المجهول ، ولم يعد أمامه إلا تأمل المشاهد وتسجيل الشواهد ، والموازنة بين ما مضى وما هو آت في رحلته الحاضرة . والذي علم قيمة العرف والتقاليد ومبلغ إخلاص الناس لها أو تفلتهم منها ، فلم يعد يحسب لمن في « الخارج » حسابا ، وإنما همه أن يعيش في عالم من صنعه هو ، يضع تقاليده وحدوده

ولهذا يلوح الشاعر في الأجزاء الأخيرة منطلقا من القيود في الاحساس والتعبير انطلاقا لا نجده في شعر شبابه ، وهذا أثر التجربة وحكم السن والممارسة .

ومع العقاد وجهان أصيلان في هذه الدواوين الثلاثة ، وعدة وجوه عارضة :

فأحد الوجهين هو الذي يقول فيه قصيدة « غزل فلسفي » والذي فيه « من كل شيء » في الأرض والسماء ، وفي الماضي والمستقبل و « من كل موجود وموعود توأم » ... الخ

ولعل هذه القصيدة أدل القصائد على هذا الوجه الذي يُشع في نفس الشاعر كل معاني الوجود ، لأن الشاعر — حينئذ — مستعد لتلقي كل أطياف الوجود ، متفتح لكل معنى من معانيه

والوجه الثاني هو الذي يقول فيه :

بعد سبع من السنين وعشر	عرف الناس فضل ذا الميلاد
عرفوا أي نعمة زارت الأر	ض بأضعاف حسنها المرتاد
عرفوه لما رأوا بينهم شمـ	ـساً مع الشمس أشرقت في البلاد
عجبوا كيف فاتهم يوم وافى	فرعوا عهده بذكر معاد
ذاك ميلادك السعيد هنيئاً	للذي فاز فيه بالاسعاد

ويقول فيه معظم غزليات « هدية الكروان »

والخطوط التي تفرق بين هذين الوجهين صعبة التمييز لو لا أن الثاني أكثر بشاشة وطراءة ، والأول أشد حيوية وتأثيراً

وعلى العموم فالشاعر يبدو في هذه الفترة واثقاً من نفسه وزمنه ، يترشف كأس الحب في نشوة ولذة وتأمل وتمهل ، وفي بشاشة ودعابة واطمئنان

ولولا أن المقال قد تضخم وطال لأكثرت من الأمثال ، فهذه هي فسحة النفس التي عنينا ، والتي امتاز بها العقاد كل الامتياز

« حلوان » سيد قطب

الى وزارة المعارف

كلمة حق في كتب

على أثر ما نشرناه في العدد الماضي من جواب الأستاذ أحمد أمين وتعليقنا عليه جاءتنا طائفة من المقالات والرسائل في هذا الموضوع لم نر من المفيد أن نشغل بها صفحات الرسالة فاقتصرنا منها على هذه الكلمة شاكرين لكتابها الأفاضل غيرتهم على الأدب ودفاعهم عن الحق (المحرر)

كنا في مجلس ضم لفيفاً من الطلبة ورجال التعليم ، والكل في مقتبل العمر وعنفوان الشباب ، فمنهم من اجتاز مرحلة ثانوية في دراسته ، ومنهم من اجتاز مراحل في تعليمه الجامعي. والحديث ذو شجون ، «والرسالة» حظها من الحديث ، ولا ينشر فيها نصيبه من التعليق والمناقشة ؛ وما يكاد الجمع ينفض حتى ترى القوم يتواعدون في أن للحديث صلة ، وإلى الملتقى في أعداد الرسالة المقبلة

جئت بهذه الكلمة لأقول إن السبب « التي من أجله صرف النظر عن تقرير بعض الكتب للمطالعة في مدارس المعارف المصرية » كان محل نقاش طويل في هذه الساعة القصيرة

ونحن نعيذ أنفسنا من الغرور يذهب بنا إلى الحط من كفاية اللجنة التي عهد إليها اختيار كتب المطالعة . لكننا لم نر بأساً في أن نبعث برأي لفيف من الطلبة والأساتذة لا نعتقد أنهم ارتأوه أو اعتقدوه تزلفاً للزيات. فالصلة التي تصلهم بالأستاذ الزيات هي عين الصلة التي تصلهم بالأستاذ أحمد أمين ، وهي صلة الأدب والذوق المشترك ، هذه الصلة التي تدفع كل واحد إلى إبداء رأي هو صدى صادق للكيفية التي أدرك بها الانتاج الأدبي لأي كاتب أو شاعر أو صاحب فن

ومن الطبيعي أن نتحسس ذلك الضعف الأخلاق لو كان في كتابين عالميين قُدِّر لهما من سعة الانتشار ما لم يقدر لغيرهما من الكتب . لقد كان الأستاذ الزيات أميناً في نقل هذين الكتابين إلى اللغة العربية ، أتراه حور من مضمونهما بحيث نرى الفضيلة في (رفائيل) جريمة ، والعاطفة في (آلام فرتر) ضعفاً أخلاقياً ؟ لست أدفع عن المترجم تهمة هو أبعد الناس عنها فقد كان